# يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

## الثَّائِرُ الحُسَينِيُّ الوَفِيّ....المُخْتَارُ الثَّقَفِيّ

## الحَلَقَةُ الأُوْلَى١٥/٨/٢٠١٥م

سَلامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيْعَاً ..

إذَا كَانَ لَنَا قِصَّةٌ فِي الحَيَاة قِصَّتُنَا الحُسَين.. لِسَبَبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ جِدّاً عَلَى الأَقَلِّ عِنْدَنَا.. الحُسَينُ الحَقِيْقَةُ الوَحِيْدَةُ فِي حَيَاتِنَا وَالبَاقِي كُلُّهُ سَرَاب.. حَاء سِين يَاء نُون مَتْنُ الْمُتُون.. وَكُلُّنا نَحْنُ وَمَا حَوْلَنَا.. وَمَا عِنْدَنَا وَعِنْدَ غَيْرِنَا.. مِنْ حَقٍّ أو بَاطِل.. فِي حَوَاشِي الحَوَاشِي..

# .. يَا حُسَينْ..

الثَّائرُ الحُسينيُّ الوفيّ المُختارُ الثَّقَفي، هذا البرنامجُ ليسَ برنامجاً تأريخيّاً محضاً، إنَّهُ برنامجٌ فكريٌ أكثر من أنْ يكونَ برنامجاً تأريخيّاً، حقيقةُ الأمرِ حينَ كانت قناةُ المودَّة الفضائية تبثُّ برامجها على القمر الصناعي في وقتها أعلنتُ عن هذا البرنامج، ولكنْ لا أدري لِمَا لَمَ تسنح الفرصة لتقديمِهِ، لا أعرفُ سبباً واضحاً حقيقةً، المشاغل، إزدحامُ الأعمال، وأشياء أخرى، فلم تسنح الفرصة لتقديمِهِ مع أنّني أعلنتُ أكثر من مرّة في حينها، ولكن ما سنحت الفرصة، وبعد ذلك رُبّما الفترة طالت أكثر من سنة أو سنتين، أكثر من سنتين ربّما أعلنتُ مرّةً ثانية أنَّ هذا البرنامج سأقدِّمهُ على قناة الأنوار الفضائيّة، وأيضاً لم تسنح الفرصة لسببٍ غير مُشخَّصٍ بالدقّة، وإنّما المشاغل والوقت وأشياء أخرى، وكأنَّ التقدير أنْ يكون البرنامج على هذهِ الشاشة.

- هذا البرنامجُ مهمٌّ من جهتين:

- من جهةٍ هو تطبيقٌ عمليٌ لمنهجِ لحنِ القول في دراسةِ شخصيَّة المختار وبشكلٍ دقيق في دراسةِ ثورة المختار، فهُناك تعانُقٌ بينَ شخصيّتهِ وبين ثورتهِ رضوان الله تعالى عليه.
- والجهة الثانية الَّتي تُشير إلى أهمّية هذا البرنامج هو أهمّيةُ شخصيّة المختار في التأريخ الشيعي، وبشكلٍ دقيق في الوجدان الحُسيني الشِّيعي، فإنَّ لهذا الرجل منزلة في الوجدان الحسيني الشِّيعي تتميّزُ عن سائرِ منازلِ الشِّيعةِ الحُسينيين.

ستكون البدايةُ من هذهِ النقطة، أيَّةُ نقطة؟

إنّها النقطة الَّتي لابُدَّ أنْ يُشار إليها حينما يكون الحديث عن الإنسان، عن المعرفة، عن العلم، عن الإدراك، مُقدِّمةٌ أصِلُ من خلالها إلى منهجِ لحنِ القول، ثُمَّ أتعرّضُ لمنهجِ لحنِ القول وبعد ذلك أدرسُ المختار الثقفي وفقاً لهذا المنهج.

الإنسانُ في حقيقتهِ هُو مجموعة قناعات وعواطف، هذا هو الإنسان، الفارق بينَ العاقلِ والمجنون ما هو؟ الفارق هو الاختلاف بينَ قناعات وعواطف العاقل وقناعات وعواطف المجنون، الفارق هو هذا، وإنَّما تختلفُ قناعات العاقل وعواطفُ العاقل عن قناعات المجنون وعواطف المجنون من جهةِ الطريقة أو الطريق الَّذي سلكهُ العَاقل في الوصولِ إلى هذهِ القناعات وإلى هذه العواطف، فإنَّ طريقَ العاقلِ للوصول إلى قناعاتهِ وعواطفهِ وأفكارهِ يختلفُ عن طريق المجنون، المجنونُ يمتلكُ أفكاراً ويمتلك قناعات ويمتلك عواطف، لكنَّ الإشكال أينَ يكون؟ الإشكال بالنسبة للمجنون يكون في الطريق الَّذي يصلُ من خلاله إلى تلكم القناعات وإلى تلكم الأفكار والعواطف، الإنسانُ مجموعةُ قناعات وعواطف وأفكار، هذا هو الإنسان، وما تبقّى صورة اللّحم والدّمِ.

إذاً الإنسانُ فِكرٌ، القناعات مردُّها إلى الفكر، وحتّى العواطف، صحيح سنخيَّة العواطف وجدانية، لكنَّ جذورها تنبعُ من الفكر، لو بحثنا بعمقٍ عن جذور العواطف الإنسانية فإنَّها تنبعُ من الفِكر، هناك فكرٌ في الأصل يُحرِّكُ الإنسان، وهذا الفِكرُ الَّذي يُحرِّكُ الإنسان يؤدّي إلى التفاعُلِ في مكنونِ ضميره، في خلجاتِ

نفسهِ الَّتي ستتولّدُ من داخلها ومن بينها العواطف، رُبّما ستؤثّر العواطف بعد ذلك على الفِكر ولكِن أساساً العواطف في جذورها مردُّها إلى الفِكر الَّذي يُحرِّكُ الإنسان، فتتفاعَل مُعطيات النَفس وتتولّد بعد ذلك العواطف، لا أريد أنْ أُفلسِفَ الحديث، لكِن لابُدَّ للكلام من بِدايةٍ حتَّى تتداعى المعَاني والمطَالب، تأتي تِباعاً.

محطتُنا الفِكر، فِكرُ الإنسان، لأنَّ الإنسانَ لا يستطيع أنْ يُدرك الأشياء إلَّا عن طريق الفِكر، ولكِن كَيفَ يَستطيعُ الإنسان أنْ ينتفعَ من هَذهِ القُدرة، أنْ ينتفع من هذهِ الإمكانية، إمكانية الفكر، قُدرة الفكر عند الإنسان، كيف يستطيع أنْ يوظِّفَها وأنْ يصل من خلالها إلى المعرفة؟

ومُرادي من الفِكر هنا هو النَشاط الَّذي يقومُ به العقل البشري، الذِهنُ البشري، الإدراكُ البَشري، نشاطُ العقل البَشري، نَشاطُ الذهن البَشري، نشاطُ الإدراك البشري هو هذا الفكر، مقصودي من الفكر هو هذا، فكيف يستطيعُ الإنسان من خلال الفكر أنْ يصلَ إلى المعلومة الصحيحة؟

هُناكَ طُرق من خلالها يصلُ الإنسان إلى المعلومة، ولَيسَ بالضرورة حينمَا يتحرّكُ الفِكر ضِمن أسلوبٍ معيِّن أو في طريقٍ معيّن، ليسَ بالضرورةِ أنْ يصل إلى النتائج الصحيحةِ دائماً، بَلْ رُبَّما الوصول إلى النتائج الصحيحةِ يَحتاجُ إلى عِنايةٍ ودقّةٍ ورعايةٍ، يحتاج إلى مُقدِّمات كثيرة حتَّى يصلَ الفكرُ البَشري أيَّاً كان نَوع المسألة الَّتي يُريد أنْ يصلَ الإنسان إلى إدراكها أو إلى الإحاطةِ بها، فالبَشرُ منذُ البدايات جرّبوا وتلمّسوا وبحثوا عن الطُرق الَّتي شغَّلوا الفكر فيها وحَاولوا أنْ يُوظّفوا الفكرَ من خِلالِ هذهِ الأساليب، من خلالِ هذه الطرق، من خلالِ هذه الوسائل والوسائط كي يصلوا إلى المعلومةِ الَّتي على الأقل يَطمئنّون إليها، بغضِّ النظر عن صحَّتها أو عن عدمِ صحّتها، لكنَّهم يطمئنّونَ إليها وتسكنُ نفوسُهم عندها، ويهدأُ بالهُم في جوارها.

إنّني سأتحدّثُ عن ما دوّنهُ التأريخ، فالتأريخُ لمْ يُدوِّن لنَا كُلَّ التجربة الإنسانية، ما بأيدينا من تأريخٍ يذكرُ لنا جانباً من التجربة الإنسانية، إنّما أُقدِّمُ هذه المقدمَّة لأجل أنْ تتّضح الفكرة والصورة الَّتي سأعرضها بين أيديكم عن منهجِ لحنِ القول.

رُبّما من أقدمِ الأسماء الَّتي بين أيدينا في تجربة الإنسان فيثاغورس أو فيثاغور، والَّذي توفّي في سنة ٥٠٠ قبل الميلاد، فيلسوفٌ معروفٌ في كُتب التأريخ، والفَلاسفةُ عُرِفوا بتشغيل الفِكر، رِياضيٌ مَعروفٌ في التأريخ حَاولَ أنْ يَصلَ إلى المعلومةِ الصَحيحة مِن تَشغيلِ فِكرِهِ في طريقِ الرّياضيات، رُبّما خالَطَ بينَ الرّياضيات والموسيقى وأنا هنا لا أريد أنْ أتحدّث عن فلسفة هذا الفيلسوف أو فلسفةِ غيرِهِ، إنّما هي أمثلةٌ لتقريبِ الفكرة ولتوضيحِ الصورة، فسَلَكَ مَنهجَ الرّياضيات للوصولِ إلى المعلومة الصحيحَة، إقتنعَ بأنَّ العالَم، بأنَّ الكونَ في حقيقتهِ هو قوانين رياضيات، مُعادلات رياضيّة، إلى الدرجة الَّتي ذهبَ الفيثاغوريون الَّذين نهجوا منهجهُ إلى أنَّ الإنسان يستطيع أنْ يعرفَ المستقبلَ بِكُلِّ تفاصيلهِ، حتَّى الدقيق من تفاصيلهِ عن طريق الرّياضيات، عن طريق الحساب، وقارنوا بينَ المعادلات الرّياضية وبينَ النَّغم الإيقاعي للموسيقى الكونيّة، وذهبوا في هذا الاتّجاه، ومنهجُ الرّياضيات أساساً يبدأُ من الإفتراضات، تتساقطُ الإفتراضات الخاطئة حتَّى نصلَ إلى الفرضيةِ الَّتي تنسجمُ مع البديهيات الرّياضية ومعَ النتائج المحقّقة سَابقاً، لتتحوّل الفرضيةُ إلى نَظريةٍ، إلى معلومةٍ يُدركُها الإنسان، النظرية بدورها شيئاً فشيئاً تتحوّلُ إلى حقيقةٍ ثابتة.

وبعدَ فيثاغور جاءنا سُقراط والَّذي أُعدِم ولهُ قصَّة معروفة، أُعدِم بأن شَرِبَ السمّ، سَقوه السُمّ في سنة ٤٠٠ قبل الميلاد، وسُقراط كانت عندهُ نزعة صوفيّة، حين أقول نزعة صوفيّة وحين أقول التصوّف فإنّني هُنا لا أتحدّث عن التصوّف الَّذي هو مسلكٌ أو طريقةٌ في الملبسِ والمأكَلِ والمشرَب، جشوبةُ الطعامِ وخشُونة اللباس، الشيء المعروف، فإنّني لا أتحدّث عن التصوّف هُنا بهذا المنظار، ولا أتحدّثُ عن التصوّف كمسلكٍ دينيٍّ، حين نقول الصوفيةُ يؤمنونَ بالشريعة والطريقة والحقيقة، والشريعةُ كذا والطريقة كذا والحقيقةُ كذا، فإنّني لا أتحدّثُ هنا عن الصوفيّةِ كعنوانٍ لمسلكٍ دينيٍّ، وإنّما المراد من التصوّف هنا نَزعةٌ بشريةٌ في التفكير الإنساني، قد يكون الإنسان مُلحداً، أساساً لا يعتقدُ بالأديان ولكنّهُ في فكرِهِ ينزعُ نزوعاً صوفيّاً، والنزوع الصوفي قد يكون في الفنون وقد يكون في الآداب وقد يكون في الفكرِ والفلسفَة وقد يكون وقد يكون... النزوع الصُوفي هو الإغراق في الفكر بعيداً عن الظاهرِ الحسّي، هذا هو المراد من النزوع الصوفي، حينَ يُغرق الذهن البَشري في ما وراء الحسِّ، في ما وراء المادّة، ويُغرقُ بعيداً، يُقالُ لهذا الطور من التفكير، من الأسلوب الفكري، يُقال لهُ تصوّف، بغضِّ النظر عن المسلكية الَّتي يُقال عنها تصوّف بطقوسها وتصرفاتها وبغضِّ النظر عن الاتّجاه

الديني الصوفي في أيِّ دينٍ من الأديان، التصوّف موجود في كلِّ الديانات، لكن حين أقول بأنَّ سقراط في فلسفتهِ والَّتي ظهرت آثارها على تِلميذهِ افلاطون بعد ذلك، سُقراط كان يميل إلى شيءٍ من التصوّف وكانَ يستعمل أسلوباً في الوصولِ إلى إدراك المعلومة، مَا سُمّي بالجدل السُقراطي، فهو لا يعتمد الفرضيات، لا يُعطي فرضيات ثُمَّ يبدأ يُناقش الفرضيات، سُقراط هكذا يقول: بأنّنا إذا أردنا أنْ نُدرك مسألةً من المسائل، أنْ نعرف حقيقتها، فعلينا أنْ نُثير الأسئلةَ حولها، نُثير الأسئلة حولَ هذهِ القضيّة، ثُمَّ نُحاول أنْ نُجيب على هذهِ الأسئلة، المادَّة الَّتي نستعين بها لصناعة الأجوبة إمّا هي من بديهياتٍ أو من معلوماتٍ مُسبقة نعتقدُ بصحّتها أو من خِلال المراقبَة والملاحظَة، من خلال مراقبة ما يمكن أنْ نُراقبهُ ومن خلال ملاحظة ومتابعة ما يمكن أنْ نلاحظهُ وأنْ نُتابعهُ في تلك المسألة.

فحينَ نُثيرُ الأسئلة ونُجِيب عليها فكلُّ الافتراضات المُحتملة الخاطئة ستتساقط بشكلٍ أوتوماتيكيٍ وستبقى الافتراضات الَّتي هي صحيحة أو قريبة من الصحّة، وحينَ نُهيِّئ أسئلةً أخرى فإنّنا سنصل إلى النتيجةِ الصحيحة بحسبِ ما يعتقدُ به صاحبُ هذا المنهج.

وجَاء بعدهُ تلميذهُ افلاطون والَّذي توفّي في سنة ٣٤٨ قبل الميلاد، وجاء افلاطون بأسلوبٍ يجمعُ فيه بينَ الفيثاغورية بين الرّياضيات وبينَ النزعة الصوفيّة الَّتي أخذها من سُقراط وحاول أنْ يُؤسِّسَ منهجاً ومنطقاً خاصّاً بهِ ونظريتهُ (المُثُل الافلاطونية) معروفة للمتخصصين، الَّتي تبنّاها الإشراقيون من المتصوِّفة من مختلف الديانات، المدرسةُ الإشراقيةُ في أساسها مأخوذةٌ من الفِكر الافلاطوني، والمدرسةُ الإشراقيةُ هكذا تقول: بأنَّ المعارفَ مخزونةٌ في باطن النفس البَشرية بالمجاهدةِ والرّياضات الروحانية، تُشرقُ العلوم والمعارف من داخل النفس إلى خارجها، قد يُعينُ على جانبٍ منها ما تتحدَّثُ عنه الأحاديث من أنَّ ينابيع الحكمة تتفجّر عند الإنسان، لا أريد الخوض في هذهِ القضيّة.

بالنتيجة هذهِ المطالب في جوانب منها شيءٌ من الصحّة، هذه تجاربٌ إنسانيّةٌ، البعض منها اعتمد على مقدّماتٍ وصلت إلى البشرِ من طريق الأنبياء، فأوّلُ كَائنٍ بشريٍ كَان نبيّاً، آدمُ عليه السَّلام، ثُمَّ استمرّت سلسلة الأنبياء ولا أريد الخوض في هذه القضيّة.

وبعد افلاطون جاء أرسطو والَّذي توفّي هو أيضاً في سنة ٣٢٢ قبل الميلاد، أرسطو سيّدُ المدرسة المشائيّة، وهي تختلفُ في نهجها عن المدرسة الاشراقية، مدرسةُ أستاذهِ افلاطون، أرسطو اعتمدَ البحثَ في القضايا الصحيحة، يجمع القضايا الصحيحة في نظرهِ، هذهِ القضايا الصحيحة إمّا تكون قد وصلت إليه من طريق البديهةِ، البديهيات الَّتي يتّفقُ عليها الجميع، وإمّا أنّهُ قد بحثَ حولها وثبتت صحّتها عنده من خلالِ المراقبةِ والمتابعة، وعلى هذا الأساس أسّسَ منهجهُ البحثي في العلوم الطبيعية، فهو حينَ ينظرُ إلى الأشياء يعتمد المراقبة والملاحظة والمتابعة، فحينَ ينظرُ إلى أيِّ شيءٍ أمامه، مُرادي ينظر من الجهة الفكريّة ليس النظرة البصريّة الحسيّة العادية، فحين ينظر إلى الأشياء الَّتي من حوله، ينظر إلى مادّتها من أين تكوَّنت، وينظر إلى العلّةِ الَّتي كوّنتها، العلّة المباشرة، وينظر إلى الصورةِ الَّتي تشكّلت بِها، وينظر إلى الخُطَّةِ المرسومةِ يعني التقدير الَّذي قدّرهُ من كوَّن هذا الشيء وهو العُنصر النهائي، يأخذ بنظر الاعتبار هذهِ الأمور ويستنتج النتائج الَّتي تَصلُ بيدهِ، فهو يعتمد على الأسلوب المنطقي الَّذي يستعملهُ الكثيرون إلى يومنا هذا، خصوصاً في المدارس الدينية، في المسيحيةِ، في المدرسة الدينيةِ المسيحية المنطق الأورسطي هو الحاكم، وفي المدرسة الدينيةِ السُنّيةِ أو الشِّيعية المنطق الأورسطي هو الحاكم، هذهِ هي الطريقةُ في البحث، تتجمّع القضايا الصحيحة وعلى ضوء القضايا الصحيحة نصل إلى النتائج الصحيحة، وهذا هو أسلوب أرسطو، لذلك أرسطو كان ينظر مثلاً إلى أنَّ الأرض هي مركزُ الكون والكواكب والشَّمس تدورُ حولها، اعتماداً على مقدّماتٍ موروثة واعتماداً على ملاحظاتٍ محدودة، فهولا يمتلك الوسائل الَّتي يستطيع من خلالها أنْ يستكشف الكَثير من الحقائق، نحنُ الآن في زماننا العُلوم تعتمد على التكنولوجيا، الآن حتّى البحوث في العلوم الإنسانية بدأت تعتمد على التكنولوجيا، بشكلٍ مُباشرٍ أو بشكلٍ غير مباشر، أمّا العلوم المختبريّة فهي قَطعاً لا يمكن أنْ تَستغني بِحالٍ من الأحوال في عَصرنا الحَاضر عن التكنولوجيا، مِثلما كَانت الفلسفة في العصُور القديمة يُقال عنهَا بِأنّها أُمُّ العلوم، لأنَّها هي الَّتي تمدّ العلماء في سائر العلوم الأخرى بقواعد التفكير، فلا توجَد وسائل للبحث، وسائلُ البحث هي قواعد التفكير المتأتّية من الفلسفة، فكَانت الفِيزياء جُزءاً من الفلسفة، وكَانت الهندسة والرّياضيات جُزءاً من الفلسفة، وكَانت السياسة والأخلاق جزءاً من الفلسفة، وكانت وكانت... لذا قَيل للفلسفة بأنّها أُمُّ العلوم فهي الَّتي تمدُّ سائر العلوم بوسائل الفِكر، بقواعد الفِكر.

في زماننا علم الإلكترونيك هو سيّدُ العلوم، الآن هل يستطيع علم الطبِّ أن يتقدّمَ خُطوة واحدة من دونِ علم الإلكترونيك؟ هل يستطيع علم الهندسة،، علمُ الفضاء، سائر العلوم الأخرى، حتَّى العُلوم الإنسانية باتت تعتمد بشكلٍ مُباشر أو غير مُباشر على ما تُنتجهُ التكنولوجيا، في زَمان أرسطو لم تَكن هذهِ الوسائل فكان يعتمد على الملاحظة والمراقبة البشريّة العادية، حينَ جَاء مِن بعدهِ بطليموس وهُو قد تُوفّي في سَنة ١٥٠ ميلادي، أرسطو قلت بأنّه توفّي سنة ٣٢٢ قبل الميلاد على ما هو المعروف في كتب التأريخ، بطليموس أسّس على المقدِّمات الَّتي جاء بها أرسطو وعلى أساس ملاحظاتهِ أسّس القواعد الأولى لعلمِ الفَلك والَّذي بقيَ حاكماً لقرونٍ وقرون وصار جُزءاً من الدين، المجسطي البطليموسي صار جُزءاً من الدين بعد ذلك، لماذا حاكموا جاليليو، جاليلي الإيطالي، لماذا حاكمَتهُ الكنيسة؟ لأنَّهُ جاء بفكرٍ يتعارض مع الفكر البطليموسي، لهذا السبب حُوكِم وقصّتهُ معروفة، التبدُّل الكَبير الَّذي حَصل هُو في زَمان الكَاهن المسيحي البولوني، في اللغة البولونية مِكواي كوفرنيك، مشهور بحسب التلفُّظ الإنجليزي نيكولاس كوبرنيكوس الَّذي توفّي سنة ١٥٤٣ ميلادي إنْ لم تخنّي الذاكرة في القَرن السّادس عشر، في زمانهِ تغيّرت طريقةُ التفكير، جاءَ نيكولاس كوبر نيكوس بطرحٍ جديد وبمنهجيّةٍ جديدةٍ، لِذَا الكَثير من المؤرِّخين يسمّون العصر العلمي من أيّامهِ وإلى يومنا هذا بالعصر الكوبرنيكوسي ولهُ قصّةٌ وتفصيل، قطعاً هو اعتمدَ على الَّذين سبقوه من الحضارات المختلفة، وجاء بعدهُ جاليليو أو جاليلي الَّذي يسمّيه اينشتاين بأنَّه والد العلوم الحديثة، لأنَّه غيَّر منهجيّة البحث، ثُمَّ جاء بعد ذلك نيوتِن، جاليليو أو جاليلي توفّي سنة ١٦٤٢ ميلادي، وجاء نيوتِن ليفتحَ فتحاً جديداً والَّذي توفّي سنة ١٧٢٧ ميلادي، يُسمّى بوالد الفيزياء، ثُمَّ جاء اينشتاين والَّذي توفّي سنة ١٩٥٥ ميلادي، وجاءت نظريّتهُ النسبيّة الخاصّة، النسبيّة العامّة، والَّتي في جانبٍ منها أيضاً نزوعٌ صوفي، نزوعٌ فلسفيٌّ واضح في النسبيّة العامّة، واينشتاين غيَّر منهجيَّة البحث والتفكير.

إلى أنْ نحنُ الآن في بدايات القَرن الحادي والعشرين بحسب التأريخ الميلادي، ربّما من أحدث النظريات والَّتي بدأت في الثمانينات من القَرن الماضي، الإيطالي جبريال فينزيانو الَّذي نظَّر لهذهِ النظرية، نظرية الأوتار الفائقة، نظرية الأوتار الفائقة الَّتي تقول بأنَّ الذرّات تتألّف من أوتار، حجمُ هذه الأوتار بالنسبةِ لذرّاتِ المادّة تُشكّل واحد من مئة مليار، يعني الذرّة تُقسَّم إلى مئة مليار جزء، الوتر الَّذي تتكوّن منه هذه الذرّات

تُشكِّل واحد إلى مئة مليار، أنا لا أريد أنْ أحشد لكم أسماءاً ومصطلحات وتفاصيل، لذلك بشكلٍ سريع أوردت هذهِ المطالب، إلى أين أريد أنْ أصل؟

أقول بأنَّ الإنسان حين يريد أنْ يصلَ إلى معلومة وسيلتهُ في الوصول إلى المعلومة هو الفكر، هذهِ القدرة الإدراكية عندَ الإنسان، النشاط الذهني، النشاط العقلي، هذا النشاط الذهني والنشاط العقلي لنْ يُعطينا نتيجةً ما لَم يكن هناك طريق لاستعمالهِ، أشرت إلى أمثلة، العلوم الأكاديمية الآن، العلوم المختبرية كيفَ يصلُ العالِمُ والباحثُ فيها إلى نتائج؟

الأساس هو الملاحظة، المتابعة، المشاهدة، المراقبة، وهي على نحوين: منها ما هو مختبري، يعني يمكن أنْ يُدرَس في المختبر وتُجرى التجارب في المختبر، التفاعلات الكيميائيّة مثلاً، التفاعلات الكيميائيّة تُدرَس في المختبر، لكن الفضاء، حركة الكواكب، تحتاج إلى مشاهدة عبر التلسكوبات، ولكن على أرض الواقع ليس في المختبر، العلوم المختبرية يمكن أنْ تُدرَس في المختبر على منطق الملاحظة والمشاهدة والمتابعة، العلوم الأخرى من العلوم الأكاديمية تُدرَس على أرضِ الواقع، علمُ البراكين والزلازل، هذا العلم يحتاج إلى دراسة على أرض الواقع، عِلمُ البحار، هذا العلم يحتاج إلى دراسة على أرضِ الواقع، وهكذا، لكن ما كان تُجرى تجاربهُ في المختبر أو ما كان تجري الدراسات عليه على أرض الواقع يعتمد المشاهدة، المتابعة، الملاحظة، جمع المعلومات، تقييّد الحقائق، وبعد ذلك إجراء المقارنة والدراسة المتكرِّرة، وهكذا تجري الأمور.

يعني هُناكَ إنسانٌ يمتلكُ فكراً ويمتلكُ طريقاً لتفعيل هذا الفكر كي يصلَ إلى نتيجةٍ معيّنة، بغضِّ النظر هذه النتيجة صحيحة أو خاطئة، لا يهمّنا هنا الحديث عن العلوم المختبرية، الحديث عن العلم الإنساني، العلوم الإنسانية الَّتي تتناول الجانب المعنوي في حياة الإنسان، العلوم الإنسانية سواء كانت دينيّة أو ليست دينيّة، العلوم الإنسانية، ما هو الطريق الَّذي استعملهُ الإنسان للوصول إلى النتائج؟

أنا هنا لا أريد أنْ أبحث بحث التأريخ، سأنقلُ الكلام إلى بعثة نبيِّنا صلّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلّم، ولكن قبلَ أنْ أتحدّث عن هذا المطلب نذهب إلى فاصل وإلى فاصلٍ حُسيني، البرنامج حسيني، صحيح الآن الكلام

أخذتكم به إلى جهةٍ بعيدة لكنَّ البرنامج برنامجٌ حسيني، نذهب إلى فاصلٍ حسيني مع عمّار الكناني وهو يندبُ رقية بنتَ الحُسين..

حينَ بُعِثَ نُبيُّنا الخاتم صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّم بُعِثَ في العَرب، والعربُ كما تعرفون قبائل متناثِرة من جنوب الجزيرة إلى شِمالها، الثقافةُ الَّتي كانت تحكمهم هي ثقافةٌ بَدَويّة، العنصر الأساس فيها هو اللفظ، الكلام، اللغة، والتعامل مع اللغة كَانَ تَعامُلاً بَدَويّاً، فالبَدَويُّ يمتازُ بالبساطة، الألوانُ الَّتي تُحيطُ به قليلة، ألوان الصحراء قليلة، الأثاث الَّذي يستعملهُ في حياتهِ قليل، تفاصيل الحياة محدودة، المفردات الثقافيّة كان للخرافةِ فيها حظٌّ كبير، حتَّى الخرافات كانت خرافات محدودة، ليست كالأساطير الإغريقية الطويلة أو الأساطير الهندية المفصّلة، ليست كالأساطير الموجودة عندَ الأُمم الأخرى، لا نجدُ في التأريخ العربي خُرافة طويلة، الخرافات محدودة، بحكمِ الطبيعة البَدَويّة، حتَّى العِمران كانَ عِمراناً في المدن أو القُرى كان عمراناً بسيطاً لا يوجَد هناك تعقيدٌ في العمارة وتفصيلٌ، حتّى التماثيل الَّتي يعبدونها تماثيل ليست مُنتظمة كالتماثيل الهندسية عند الرومان والإغريق، الرُّومان والإغريق حين ينحتونَ تماثيلهم مثلاً يراعونَ هندسة، الجمال في الوجهِ، في الرأسِ، في البدن، هناك هندسةٌ للجمال، طول الوجهُ مثلاً، الوجه الهندسي المثالي بحسبِ قواعد هندسة الجمال يكون طول الوجه بمقدار طول جبهة الإنسان ثلاث مرات، يعني الجبهة وهناك المسافة المتبقية من نهاية الجبهة إلى نهاية الذقن بمقدار جبهتين، وطول الجبهة بطول أنف الإنسان، يعني طول الوجه من بداية الجبهة إلى نهاية الذقن ثلاثة آناف، وما بين العينين مسافة عين واحدة، وعلى الصدغين إلى بدايةِ شعر الزلف مسافة عين واحدة، وما بين الأنف والشفة العُليا مقدار شفة واحدة، وما بين الشفة الثانية ونهاية الذقن مقدار ثلاث شفاه، وهناك خطوط مستقيمة تمتدُّ ما بين أعلى الأذنين وأسفل الأذنين وأعلى الأنف وأسفل الأنف، وهكذا التفاصيل في بقيّة رأسِ الإنسان، وهكذا التفاصيل في صدر الإنسان وفي يديهِ وأصابعهِ وفي ساقيهِ وركبتَيه وقدمَيه، هناكَ هندسةُ الجمال في الرّسمِ وفي النَّحت، لم يكن يعرف العربُ شيئاً من ذلك، لو نظرت إلى تماثيلهم وأصنامهم الَّتي بقيَ منها ما بقي.

الثقافةُ العربية كانت ثقافةً بدائيّة واللغةُ أساسٌ واضحٌ فيها، فكان عصرُ النَّبي عصر التنزيل، كَان العربُ الَّذين دخلوا في الإسلام تعاملوا مع القُرآنِ وحديث النَّبي تعاملاً بَدَويّاً، فكان الفهم يعتمد اللغة واللغة فقط،

لذا النَّبي صلّى اللهُ عليهِ وآلِه متى عَبَّر عن الدينِ بأنَّهُ اكتمل؟ حين فتحَ باب التأويل في بيعة الغدير، ستقاتلهم على التأويل، التأويلُ مرحلةٌ جديدةٌ، في مرحلة التأويل لابُدَّ من طريقٍ جديدٍ للفهم، من وسيلةٍ للبحث، في مرحلة التنزيل كانَ الطريق والأسلوب هو المتوفِّر بأيدي النَّاس، فلا يُعقل أنَّ النَّبي صلّى اللهُ عليهِ وآلِه يأتي العرب بدينٍ جديد ويريد أنْ يُقنِعَهُم بهذا الفكر الجديد ويطلب منهم أنْ يُغيِّروا طريقة تفكيرهم إلى طريقةٍ جديدة، يعني سيصبحُ الأمر أمرين، لابُدَّ أنْ يُقنِعَهُم أوّلاً بتغيير طريقة التفكير، ثُمَّ بعد ذلك يُقنعهم ثانياً بهذا الفكر الجديد، وهذا الكلامُ ليس منطقياً، فلابُدَّ أنْ يأتيهُم من نفسِ طريقة تفكيرهم، يُحاول أنْ يُقنعهم من نفسِ هذا الأسلوب فكان التنزيل، الَّذين خالفوا أهل البيت بقوا على نفس هذه الحالة، المنهج العُمري (حَسبُنا كتابُ الله) وفقاً لمرحلة التنزيل اعتماداً على اللغة، منهجُ أهل البيت شيءٌ آخر.

ومرّت الأيام والمخالفون لأهل البيت لا يمتلكونَ منهجاً مُشخَّصاً، إنَّهم يعتمدونَ على الطريقةِ العاديةِ الَّتي كانت موجودةٌ آنذاك، من هنا تجد هذه الخرافات الكثيرة الموجودة في كتب القوم، ومن هنا تجد الكثير من الفهم الساذج في صِحاح القوم لحقائق القُرآن، وحين حاولوا أنْ يتخلّصوا من هذا الرُكام الكبير من الخرافات والأكاذيب ومن الإسرائيليات الَّتي نقلوها في كتبهم، لأنَّهم لا يملكون مصدراً علمياً، أحاديثُ النَّبي وأحرقوا ما أحرقوا منها، الخلفاء أحرقوها، منعوا كتابتها، وعاقبوا الرواة أيضاً فضاعت الأحاديث، وأُحرِقت المصاحفُ الَّتي كانت قد فُسِّرت بأحاديث النَّبي، فأحاديثُ النَّبي ما بينَ ما هو محروق، سواء أُحرِقت أحاديثٌ بنفسها أو أُحرِقت مصاحف كُتِبَ فيها القُرآن وكُتِبَ فيها الحديث كالَّذي حدث في زمانِ عثمان وحتّى قبلَ عُثمان، وكانت دُرة عُمر تقع على رؤوس الَّذين يروون الحديث، فضاع حديثُ النَّبي، فماذا يصنعُ المخالفون لأهل البيت؟! بدأوا هم يصنعون الحديث من عند أنفُسهم ويلجأون إلى اليهود، فكانَ الَّذي كان، والمنهج هو اللغةُ والطريقةُ الَّتي كانوا عليها في زمن الجاهلية، ومن هنا جاء توحيدهم توحيداً جاهلياً، ومن هُنا جاء فهمهم للإمامةِ كفهمِ رئيس قبيلةٍ أو أميرٍ في مكانٍ من الأمكنة.

وحينَ بدأت الترجمة في العصر الأموي إلى أنْ صارت واضحة في العصر العبّاسي، والمأمون كان قاصداً حين وفّر الأموال وشجَّع على الترجمة، لأنَّهُ يجدُ منهجاً واضحاً عندَ آلِ مُحَمَّد، والطرف الآخر المخالف لا يمتلكُ منهجاً واضحاً.

وتمرُّ الأيّام إلى زمان الشّافعي، الشّافعي يُمثِّل نقطةً واضحةً شاخصةً في المنهج المخالف لآل مُحَمَّد صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، الشّافعي تُوفِّي سنة ٢٠٤ للهجرة، الشَّافعي ما هو منهجهُ؟ منهجُ الشَّافعي هو المنهج الأورسطي، منهج أرسطو نفس المنهج، المنهج الأورسطي ما هو؟ هو جمعُ قضايا يعتقد بصحّتها، وبعد أنْ تُجمع هذهِ القضايا تُستخرَجُ منها النتائج، على سبيل المثال كتاب الرّسالة للشّافعي، هذا الكتاب والَّذي يُنظِّرُ فيه لمنهجهِ الاستنباطي، لمنهجهِ الاستنباطي في فهمِ الكتاب والسُنَّة، لو تتبَّعنا هذا الكتاب من أوّلهِ إلى آخرهِ هو يعتمد هذا الأسلوب، تحت كلِّ عنوانٍ من عناوين الرّسالة للشّافعي هو يجمع قضايا في نظرهِ صحيحة وبعد أنْ يجمع هذهِ القضايا الَّتي هي في نظرهِ صحيحة يستخرج منها النتائج، والقضايا الَّتي تكونُ صحيحةً في نظرهِ هو يتعاملُ معها بنفسِ الطريقةِ الَّتي تعامل بها العربُ في عصر التنزيل في فهم النَّص القُرآني وفي فهم النَّص النّبوي، اللغةُ، اللغةُ هي الأساس والاعتماد على ما هو شائعٌ في الفهم، بعبارةٍ أخرى ما تُسمّى بسيرة العقلاء، بطريقة العُقلاء، العُقلاء هكذا يُفكّرون، العُقلاء هكذا يفهمون، هذا هو منهجُ الشّافعي، المنهج الأورسطي زائداً الثقافة العربية، منهجُ الشّافعي هو نتيجةٌ للثقافةِ العربية الَّتي اعتمدها المسلمون الأوائل في فهمِ الكتاب وفي فهم حديث النَّبي، وبعد ذلك حدثَ ما حدث.

حديثُ النَّبي الَّذي يرويه الشِّيعةُ والسُنَّة بأنَّ عليَّاً سيُقاتلهُم على التأويل، هذا الحديث يُشير إلى قضيّةٍ في غاية الخطورة! يشير إلى أنَّ التأويل غير التنزيل، النَّبي صلّى اللهُ عليهِ وآلِه يقول له بأنَّك ستُقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم أنا على التنزيل، فالتأويلُ غيرُ التنزيل، والحديثُ هنا يتحدَّث عن قِتالٍ معصوم، النَّبي حينَ يقول لعليٍّ إنَّك ستُقاتلُهم قتالٌ معصوم، مرادي بالقتال المعصوم قتالٌ صادرٌ من المعصوم عن التأويل، فهل التنزيل كان مطلوباً في زمانِ عليٍّ؟ لم يكن التنزيلُ مطلوباً، لو كان التنزيلُ مطلوباً لَمَا قاتَلَهُم عليٌّ على التأويل، ولو كان التنزيلُ يكفي لَمَا قاتلهم عليٌّ على التأويل، ولو كان التنزيل يكفي لَمَا صارت وَلايةُ عليٍّ شرطاً في الإيمان، بل وَلاية عليٍّ هي الإيمان، المطلوبُ هو التأويل وليس التنزيل، فالتنزيلُ مرحلةٌ تمّت وانتهت، كما قُلت قبلَ قليل ليس من المنطقي أنَّ النَّبي صلّى اللهُ عليهِ وآلِه يطلب من العربِ أنْ يُغيِّروا طريقة تفكيرهم وفي نفس الوقت أيضاً يطلب منهم أنْ يقبلوا منه هذا الفكر الجديد، هذا الكلام ليس منطقياً، فهو أقنعهم بالفكر الجديد بالجُملة، ولكنَّ التفاصيل الكاملة ستكون متى؟ في مرحلة التأويل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ**

**دِينَكُمْ** ﴾ هذا الإكمال متى؟ الدينُ ناقص ولكن متى أُكْمِل؟ أُكْمِل حين ابتدأت مرحلة التأويل، يعني إذا دخلتم في مرحلة التأويل فإنَّ دينكم قد كَمُل، أمّا إذا بقيتُم على مرحلة التنزيل فهذا الدينُ دينٌ ناقص، وإلَّا لِمَا سيُقاتلُهُم؟!

وعليٌّ قَاتَل الصَّحابة، عائشة زوجة النَّبي هي الَّتي رفعت السيف في وجه التأويل، النَّبي حين يقول لعليٍّ: إنَّك ستُقاتِلُهم على التأويل، قَاتَلَ من؟ أوّلُ سيفٍ رفعهُ عليٌّ رفعهُ على من؟ في مواجهةِ من؟ في مواجهةِ زوج النَّبي، في مواجهة عائشة، إذاً هُناك حدٌّ فاصلٌ وواضح بين مرحلة التنزيل والتأويل، مرحلة التأويل هي الَّتي تحدّثت عنها كلماتُ أهل بيت العصمة، وما أصطلحُ عليهِ بمنهجِ لحنِ القول هو منهجُ التأويل، هو أنْ نفهم الكتابَ وحديثَ العترة وأنْ نفهم الدين وأنْ نفهم الإيمان وأنْ نفهم التوحيد وأنْ نفهم العقيدة وأنْ نفهم معارف الكتابِ والعترة وفقاً لمنهجِ التأويل الَّذي أُعنونه بمنهجِ لحنِ القول – **إنَّا لا نَعدُّ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَقِيهاً لَبِيباً عَاقِلاً حتَّى يُلْحَنَ لَهُ فِي القَول فَيَعرِف** – ماذا؟ – **فَيَعرِف اللَّحنَ فِي القَول** – اللحن في القول هو الأسلوب الّذي اتُّبِعَ في مرحلة التأويل، هو هذا لحنُ القول، وهو يختلفُ بالمرّةِ عن المنهج الأورسطي وعن منهج الشَّافعي، قد يلتقي في جهاتٍ مع المنهج الأورسطي، قد يلتقي في جهاتٍ مع منهج الشافعي، فما كُلُّما في منهج أرسطو ليس صحيحاً، وما كُلُّما في منهج الشافعي ليس صحيحاً، وما كُلُّما في المناهج الأخرى ليس صحيحاً، يوجَد في المنهج (أ) ما هو صحيح وما هو ليس بصحيح، وفي المنهج (ب) وفي المنهج (ج) وهكذا، وهذا منهجُ لحن القول بحسب ما أدّعي هو منهجُ التأويل، هو المنهجُ المستخلَصُ من حقائقِ الكتابِ والعترة.

الوقت لا يكفي أنْ أسلِّط الضوء على هذا الموضوع في هذه الحلقة، لكنّني سأتناولُ جانباً من الحديث وبقيّة الكلام يأتينا تِباعاً في الحلقاتِ القادمةِ إنْ شاء الله تعالى، برنامجنا برنامجٌ يوميٌّ، بثٌّ مباشر عبر شاشة قناة القمر الفضائية في نفسِ هذا الوقت والحديثُ يتواصل ويتتابع.

نذهب إلى فاصل وملّا باسم وهو يُحدّثُنا عن فاطمة العليلة..

**عَنْ أَبِي مَعْمَر السَّعْدَاني أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمؤْمِنِين عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب عَلَيهِ السَّلام** – الأمير يقول لهذا الرجل – **إِيَّاكَ أَنْ تُفَسِّرَ القُرآنَ بِرَأيِك** – تفسير القُرآن برأيهِ كيف؟ يعتمد على اللغة ويستند إلى الثقافة الموروثة، هذا هو التفسير بالرأي، إعتماد على اللغة ويستند إلى الثقافة الموروثة، بديهيات، نظريات، سَمِّ ما شئت، هناك معلومات، هناك أسُس، أوّليات، معطيات في الثقافة الموروثة مع اللغة وعلى أساسها يتمُّ تفسير القُرآن، وهذا هو الَّذي يجري عند المخالفين وانتقل إلى علمائنا وفقهائنا ومراجعنا ومُفسِّرينا – **إيَّاكَ أنْ تُفَسِّرَ القُرآنَ بِرَأيِك حَتَّى تَفْقَهَهُ عَنِ العُلَمَاء** – المراد من العلماء هنا هُم المعصومون صلواتُ اللهِ عليهم، هم يقولون نحنُ العلماء وشيعتنا المتعلِّمون – **إِيَّاكَ أَنْ تُفَسِّرَ القُرآنَ بِرَأيِك حَتَّى تَفْقَهَهُ عَنِ العُلَمَاء فَإِنَّهُ رُبَّ تَنْزِيلٍ يَشبَهُ كَلامَ البَشَر وَهُو كَلامُ الله** – هذا التنزيل في ألفاظهِ، في بُنيتهِ اللفظية، في حروفهِ، يشبهُ كلام البشر، وإلَّا كيفَ يفهمُ البَشر كَلام الله ما لم يَكُن ككلام البشر؟ هذا بحسبِ مرحلة التنزيل لكن بحسبِ مرحلة التأويل تختلفُ الحقيقة – **فَإِنَّهُ رُبَّ تَنْزِيلٍ يَشبَهُ كلامَ البَشَر وَهُو كَلامُ الله وَتأويلَهُ لا يَشبَهُ كَلامَ البَشَر كَمَا لَيسَ شَيءٌ مِنْ خَلقِهِ يَشبَهُهُ كَذَلِك لا يَشْبَهُ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وتَعالَى شَيئاً مِن أَفْعَالِ البَشَر ولا يَشبَهُ شَيءٌ مِن كَلامِهِ كَلامَ البَشَر وكَلامُ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى صِفَتُه وكَلامُ البَشَرِ أَفْعَالُهم فَلا تُشَبِّه كَلامَ الله بِكَلامِ البَشَر فَتَهْلَك وتَضِلّ** – الآن المُفسِّرون، مُفسِّرونا ألا يتعاملون مع القُرآن على أنَّه ككلام البشر؟ ويتعاملون مع القُرآن بنفس الطريقةِ الَّتي يتعاملون بها مع كلام سائرِ البشر، بغضِّ النظر عن التقديس، التقديس لا يُغيِّرُ شيئاً من المعلومة، هُم يُقدِّسُونَ كلام الله ولكن يفهمونهُ ويُفسِّرونه بأيَّةِ طريقة؟ بالطريقةِ الَّتي فهمَ بها العرب القُرآن في زمان النَّبي في مرحلة التنزيل والَّتي أمر النَّبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِه أنْ يُقاتل عليٌّ أصحاب النَّبي إذا ما بقوا على التنزيل، وقَاتَلَهُم لأجلِ ذلك، فلماذا نحنُ ونحنُ شيعةُ عليٍّ ننهج نفس المنهج الَّذي نهجهُ أعداءُ عليٍّ وقاتلَهُم عليٌّ بعد ذلك، لماذا؟!!

**عَن جَابِر الجُعْفِي قَالَ: قَالَ أبُو عَبدِ الله عَلَيهِ السَّلامْ: يَا جَابِر إِنَّ لِلْقُرآنِ بَطْناً وَلِلْبَطنِ ظَهراً، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِر ولَيسَ شَيءٌ أَبعَدَ مِن عُقُولِ الرِّجَالِ مِنه، إِنَّ الآيَة لَيَنْزِلُ أَوّلُها في شيء وأوسَطُها في شَيء وآخِرُها في شَيء وَهُو كَلامٌ مُتَّصِلٌ يَتَصَرَّفُ عَلَى وُجوه** – سقطت وحدةُ السياقِ هنا، إذا سقطت وحدةُ

السياق في الآية الواحدة ماذا بقي من قواعدِ فهمِ القُرآنِ الَّتي يعملُ بها المخالفون ويعملُ بها علماؤنا ومفسّرونا اتّباعاً وتقليداً للمخالفين!

**عَن هِشَامِ بنِ سَالِم عَن أَبِي جَعفَرٍ قَالَ: مَن فَسَّرَ القُرآنَ بِرأيِهِ فَأصَاب لَم يُؤْجَر وإِنْ أَخْطأَ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيه.**

**عَن القَاسِم بنِ سُليمَان عَن أَبِي عَبدِ الله عَليهِ السَّلام قَالَ: قَالَ أَبِي** – يعني الباقر صلواتُ اللهِ عليه – **مَا ضَربَ رَجُلٌ القُرآنَ بَعْضَهُ بِبَعض** – ما يُقال من تفسير القُرآن بالقُرآن وفقاً لمنهج المخالفين، وفقاً لمنهج أهل البيت القضيّة بشكل آخر، أهل البيت أيضاً فسّروا القُرآن بالقُرآن، وفقاً لذوقهم، أمَّا الآن الَّذي يُطرَح على القنوات من تفسير القُرآنِ بالقُرآن فهو وفقاً لمنهج المخالفين والرواية تتحدّثُ عنه – **مَا ضَربَ رَجُلٌ القُرآنَ بَعْضَهُ بِبَعضٍ إلَّا كَفَر.**

**عَنِ الفُضَيل بن يَسَار قَالَ سَأَلتُ أبَا جَعفَرٍ عَن هَذهِ الرّواية: مَا فِي القُرآنِ آيَةٌ إلَّا ولَها ظَهرٌ وبَطن ومَا فِيهِ حَرفٌ إلَّا ولَهُ حَدّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَع، مَا يَعني بِقَولهِ لها ظَهرٌ وبَطن؟ فَقال: ظَهرهُ تَنزيلُه وبَطنهُ تأويلُه مِنهُ مَا مَضَى وَمَنهُ مَا لَم يَكُنْ بَعد، يَجري كَمَا تَجري الشَّمْسُ والقَمَر كُلَّمَا جَاء مِنهُ شَيءٌ وَقَع، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ نَحنُ نَعلَمُه** – هذا هو كلامُ إمامنا باقر العلوم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، (للقُرآنِ ظهر، للقُرآن بطن، وما فيه حرف إلّا ولهُ حدّ ولكلِّ حدٍّ مطلع يجري كما تجري الشَّمسُ والقمر) من الَّذي يستطيع أنْ يفهم القُرآن بهذا المستوى؟ هذا هو مستوى فهم القرآن في مرحلة التأويل.

والرواياتُ وفيرةٌ عنهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعين من أنَّ القُرآن نَزل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، هكذا هو لسانُ الرّوايات، القُرآن بكلِّه، نزل القُرآن بهذا اللسان، بأيِّ لسان؟ بلسان إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، هذهِ نماذج، أمثلة من أحاديثهم وهم يُخبروننا عن قُرآنهم صلواتُ اللهِ عليهم، ماذا يقولون؟

عن إمامنا الرضا: **عَلينَا إلْقَاءُ الأُصُولِ إلَيكُم وَعَلَيكُم التَفرِيع**، الأصولُ هي هذهِ، فهل عملنا بهذه الأصول؟ هل عملت حوزتنا العلميةُ بهذه الأصول؟ هل الثقافةُ الشيعيةُ مبنيةٌ على هذه الأصول؟ أليس هذه الرّوايات الَّتي مرّت تتحدّث عن أصول فهمِ القُرآن؟ لماذا أصولنا نأخذها من المخالفين ونُفرّع عليها؟! ثُمَّ نقول كذباً بأنَّ هذا أُخِذَ من أهل البيت!! هذه أصول أهل البيت، من الَّذي عَمِلَ بها؟ إمامُنا الرّضا يقول: **عَلينا إلْقَاءُ الأُصُولِ إلَيكُم وَعَلَيكُم التَفرِيع**، المنهج تأخذونهُ منّا.

وعَن إمامنا الصّادق: **إنَّمَا عَلَينَا أَنْ نُلقِيَ إلَيكُم الأُصُول وَعَلَيكُم أَنْ تُفَرِّعُوا**، المنهج يُؤخَذُ منهم، الأصول يعني المنهج.

عن إمامنا الصَّادق صَلواتُ اللهِ وسلامُه عليه – **حُديثٌ تَدرِيه خَيرٌ مِن أَلفٍ تَرويه وَلا يَكُونُ الرَّجُل مِنْكُم فَقِيهاً حَتَّى يَعرِفَ مَعَارِيضَ كَلامِنَا** – الرّواية موجودة في معاني الأخبار للشَّيخ الصّدوق – **وَلا يَكُونُ الرَّجُل مِنْكُم فَقِيهاً حَتَّى يَعرِفَ مَعَارِيضَ كَلامِنا** – معاريض يعني الكلام، من الجهةِ اللفظية شيء والمعاني شيء آخر، هذا المراد من المعاريض، راجعوا كتب اللغة، المعاريض المراد منها أنَّ الكلام من الجهة اللفظية شيء والمعنى شيء آخر، كما مرَّ علينا قبلَ قليل (رُبَّ تنزيلٍ يَشبَهُ كلامَ البَشَر ولكن تأويلُه لا يَشبَهُ كلامَ البَشر) شيء آخر، هذه هي أصول أهل البيت – **وَلا يَكُونُ الرَّجُل مِنْكُم فَقِيهاً حَتَّى يَعرِفَ مَعَارِيضَ كَلامِنا وإنَّ الكَلِمَة مِن كَلامِنا لَتنصَرِف عَلَى سَبعينَ وَجه لَنا مِن جَمِيعِها المَخرَج** – والأحاديثُ كثيرةٌ جداً في هذا المضمار.

ماذا يقولون؟

هذا عيونُ أخبار الرضا لشيخنا الصّدوق، إمامنا الرضا ماذا يقول؟ يقول: **إنَّ في أَخبَارِنا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرآن وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ القُرآن فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إلَى مُحْكَمِها ولا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَها دُونَ مُحْكَمِها فَتَضِلُّوا**، هذه هي الأصول، هذا هو حديثُ أهل البيت وهذا هو منهجُ أهل البيت.

أنا أستعرض بين أيديكم هذه النماذج من كلماتهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين لأجل ماذا؟ لأجلِ أنْ تُنبئكم هذه المعطيات بأنَّ مرحلة التأويل، من أنَّ القُرآن، ومن أنَّ حديثَ العترة لهُ خصوصيات تختلف

عن خصوصياتِ كلامِ عامّة النَّاس، وأنَّ مرحلة التأويل لها شرائط تختلف عن مرحلة التنزيل، وبالتالي لا نستطيع أنْ نستعمل نفس المنهج في البحثِ والتفكيرِ والدراسة، مع مثلِ هذه المعطيات لا يصلح أنْ نستعمل المنهج الأورسطي، قد نلتقي مع المنهج الأورسطي في بعض الجهات، قد نلتقي معَ منهج الشَّافعي في بعض الجهات، كما نلتقي مع بقيّة المناهج الأخرى، بالنتيجة كُلُّنا نعودُ إلى جذرٍ بشريٍ واحد، ومن هذا الجذر البشري يخرجُ هذا الجهد، فجهدنا جهدٌ بشري، فيه الصواب وفيه الخطأ، صحيح هذا كلامهم ولكن يبقى فهمُنا نحنُ فهماً بشرياً، أيضاً فيه الصواب والخطأ، لكنّني أقول: نحاول أنْ نكونَ في مكانٍ أقرب ما نكون إليهم صلواتُ اللهِ عليهِم، فأين نتائج آخذها من منهجٍ وضعهُ أرسطو وسار عليه الشَّافعي وفقاً لثقافةٍ عربيةٍ بَدَويّةٍ في مرحلةٍ رفضها النَّبي وأمر عليّاً بقتال من يبقى عليها على مرحلة التنزيل، وقَاتَلَ عليٌّ الَّذين بقوا عليها وكفروا ببقائهم عليها، حينَ قاتلهم عليٌّ خرجوا من الدين، فأيُّ منهجٍ هذا؟! لماذا لا نبحثُ عن منهجٍ في حديثهم، قد لا يكون منهجاً كاملاً بالمُطلق، قد لا تكون النتائج الَّتي نصل إليها صحيحةً بالمطلق، ولكن على الأقل هذا المنهج أقرب ما يكون إلى دائرتهم صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين.

الروايةُ في رجال الكشّي عن إمامنا الصَّادق: **اِعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنا بِقَدرِ مَا يُحْسِنُون مِنْ رِوَايَاتِهِم عَنَّا فإنَّا لا نَعُدُّ الفَقِيهَ مِنْهُم فَقِيهاً حَتَّى يَكُونَ مُحدَّثاً، فَقِيلَ لَهُ أَويَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثاً؟ قَالَ: يَكُونُ مُفَهَّماً والمُفَهَّمُ مُحَدَّث.**

الرّوايةُ في غيبة شيخنا النُعماني عن إمامنا الصّادق: **اِعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنا عِنْدَنا عَلَى قَدرِ رِوَايَاتِهِم عَنَّا وَفَهْمِهِم مِنَّا،** الفهم مُتفرِّعٌ منهم، قواعد الفهم مأخوذة منهم لا من المنهج الأورسطي ولا من منهج الشّافعي.

هذه الرّوايات تُنبئنا عن أيِّ شيءٍ؟ تُنبئنا عن أنَّ أهل البيت وضعوا منهجاً في حديثهم علينا أنْ نبحثَ عن هذا المنهج، هذا هو المنهج الَّذي عنونته بمنهجِ لحنِ القول.

الرّوايةُ في مصباح الشريعة عن إمامنا الصّادق: **لا تَحِلُّ الفُتيَا لِمَنْ لا يُصْطَفَى مِنَ اللهِ تَعَالَى بِصَفَاءِ سِرِّهِ وَإخلاَصِ عَمَلِه وعَلانِيَتِه وبُرهَانٍ مِن رَبِّهِ في كُلِّ حَال، لأنَّ مَن أفْتَى فَقَد حَكَم والحُكْمُ لا يَصُح إلَّا**

**بإذنٍ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ وبُرهَانِهِ وَمَن حَكَمَ بالخَير بِلا مُعَايَنَة** – حتّى لو كان حُكمهُ صحيحاً بلا مُعاينة، المعاينة الَّتي مرَّ ذكرها – **وَمَن حَكَمَ بالخَير بِلا مُعَايَنَة فَهُو جَاهِل مَأخُوذٌ بِجَهْلِه ومَأثُومٌ بِحُكْمِه** – يعني حتّى لو أصاب، إذا مرّت علينا الرّواية قبلَ قليل بأنَّ الَّذي يُفسِّرُ القُرآن برأيهِ فإنْ أصاب لم يؤجر، الرواية هنا تقول بأنَّه حتّى لو أصاب – **مَأخُوذٌ بِجَهْلِه ومَأثُومٌ بِحُكْمِه** – هو مأثوم أيضاً سواء أصاب أو أخطأ، أينَ هذا من المنهج المطروح من أنَّ الفقيه المجتهد إذا أصاب لهُ أجران وإذا أخطأ لهُ أجر وهو منهجُ المخالفين، لكن يُطرَح على ألسنة كبار خطبائنا على المنابر ويُنسب إلى أهل البيت وَوالله أهل البيت برآءٌ منه – **وَمَن حَكَمِ بالخَير بِلا مُعَايَنَة فَهُو جَاهِل مَأخُوذٌ بِجَهْلِه ومَأثُومٌ بِحُكْمِه** – هذا هو منهجُ أهل بيت العصمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعين.

أمّا إذا ذهبنا إلى تفسير إمامنا العسكري الرّواية – **فَأمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الفُقَهَاء صَائِناً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالِفاً لِهَواه مُطِيعاً لأَمرِ مَولاه فَلِلْعَوامِّ أَنْ يُقَلِّدُوه وَذَلِكَ لا يَكُون إلَّا بَعض فُقَهَاء الشِّيعَة** – بعض فقهاء الشِّيعة يتّصِفون بهذا الوصف والبعض يعني القلّة، يعني أكثر فقهاء الشِّيعة لا يتّصفونَ بهذا الوصف، هذا الكلام كلامُ إمامنا الصَّادق يرويه لنا إمامنا العسكري عليه السَّلام – **فَلِلْعَوامِّ أنْ يُقَلِّدُوه وَذَلِكَ لا يَكُون إلَّا بَعض فُقَهَاء الشِّيعَة لا جَمِيعَهُم** – البعض هم أقل، هذا كلامُ الإمام الصَّادق، هذهِ الأوصاف المرضية عندَ أهل البيت لا تكون إلَّا في بعض فقهاء الشِّيعة لا جميعهم، يعني الأكثر ليسوا مرضيّين عند أهل البيت.

والقضيّة الأخطر حين يصل الكلام إلى بعض هؤلاء الفقهاء، إلى بعض هؤلاء المراجع الَّذين يُقلّدهم الشِّيعة، فماذا يقول إمامنا الصّادق وسنأتي على هذهِ الرَّواية بالكامل ونشرحها إنْ شاء الله تعالى، في برنامج زهرائيّون سأتناولها، سأشرح هذه الرواية، فماذا يقول عن البعض من فقهاء الشِّيعة؟ يقول: **يَتَعلَّمُونَ بَعضَ عُلُومِنا الصَّحِيحَة** – ثُمَّ ماذا يفعلون؟ – **ثُمَّ يُضِيفُونَ إلَيهِ أَضْعَافَهُ وأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ مِنَ الأَكَاذِيبِ عَلَينَا الَّتِي نَحنُ بُرَاءٌ مِنْهَا** – هذهِ الأكاذيب من أين يأتون بها؟ من المخالفين – **يَتَعلَّمُونَ بعضَ عُلُومِنا الصَّحِيحَة** – ثُمَّ ماذا يفعلون؟ – **ثُمَّ يُضِيفُونَ إلَيهِ أَضْعَافَهُ وأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ** – هذا ما أردِّدُهُ دائماً من أنَّ الثقافة الشّيعية فقط فيها صبغة، صبغة لأهل البيت، أكثر الموجود في الثقافة الشِّيعية جيء به من المخالفين

أو من استنتاجات شخصيّة من نفس علماء الشيعة – **ثُمَّ يُضِيفُونَ إلَيهِ أَضْعَافَهُ وأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ مِنَ الأَكَاذِيبِ عَلَينَا الَّتِي نَحنُ بُرَاءٌ مِنْهَا فَيَتَقَبّلُهُ المُسْتَسْلِمُون المُسَلِّمون مِنْ شِيعَتِنا عَلَى أَنَّهُ مِن عُلُومِنا فَضَلُّوا وأَضَلُّوهُم وَهُم أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاء شِيعَتِنا مِن جَيشِ يَزِيد عَلَى الحُسَينِ بنِ عَليّ وأَصحَابِه فإنَّهم يَسْلِبُونَهُم الأرواح والأَمْوال وهَؤُلاء عُلَمَاء السُوء الناصِبُون المُشَبِّهُون بأنَّهُم لَنَا مُوالُون وَلِأَعْدَائِنَا مُعَادُون يُدْخِلُونَ الشَّكَّ والشُّبهَة عَلَى ضُعَفَاء شِيعَتِنا فَيُضِلُّونَهُم ويَمنَعُونَهُم عَن قَصدِ الحَقِّ المُصِيب** – إذا كان في الوسط الشّيعي فقهاء من هذا النوع ألعن من شمر وألعن من حرملة، الإمام يقول هكذا: أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن عليّ وأصحابه، ألعن من حرملة وألعن من شمر من فقهاء الشّيعة ومن مراجع الشّيعة، هذا كلامُ الإمام الصّادق ينقلهُ لنا إمامنا العسكري، لماذا؟ الخطأ في المنهج.

واضحٌ الكلام، الإمام قال: **يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة ثُمَّ يُضيفونَ إليهِ أَضْعَافَهُ وأضعافَ أضعافهِ من الأكاذيبِ علينا الَّتي نحنُ منها بُراء**، ألا يدفعنا ذلك للبحثِ عن المنهج؟ هؤلاء الَّذين صاروا ألعن من حرملة لماذا؟ تبعوا منهجاً خاطئاً، إذاً لابُدَّ من وجود منهجٍ صحيحٍ في داخل حديث أهل البيت، هذهِ الرّوايات كلُّها تشير إلى أنَّ أهل البيت لهم منهج خاص يختلف عن المنهج الأورسطي، يختلف عن منهج الشَّافعي، يختلف عن بقيَّة المناهج، أنا تحدّثت عن نماذج وكيف أنَّ المناهج الفكرية تختلف، وبدأت من فيثاغورس، إلى سُقراط، إلى أفلاطون، إلى أرسطو، إلى بطليموس، ثُمَّ انتقلت إلى العصر الحاضر وأشرت إلى الشّافعي، هذهِ أمثلة ونماذج، أنا لا أريد أن أدرسَ كُلَّ شيء، لكن هناك سؤالان:

أمَّا السؤال الأوّل: هل يمتلك علماؤنا دليلاً واحداً، لا يمتلكونه ولكنَّني أسأل هذا السؤال، هل يمتلكون دليلاً واحداً من حديث أهل البيت، من الكتاب الكريم، هل يمتلكون دليلاً واحداً على صِحّةِ المنهج الَّذي هم عليه هذا المنهج الأورسطي والشَّافعي؟ هل يمتلكون دليلاً عليه؟ هو اختيارُ بشري، هم اختاروه.

السؤال الثاني: هل يُعقل أنَّ أهل البيت بعدَ أن أسّسوا لمرحلة التأويل والَّتي هي تختلفُ تمام الاختلاف عن مرحلة التنزيل هل يُعقل أنَّهم تركونا من دون منهج؟! لا يمكن أنْ يُعقل ذلك، فأين نجدُ منهجهم؟

منهجهم في حديثهم، كلامكم نور، كما نخاطبهم في الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة، منهجهم في حديثهم، في كلماتهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعين، الحديث يتواصل إن شاء الله ونذهب نزور الحسين صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه في هذا الفاصل الأخير وأعود كي أودّعكم.

ألقاكُم إن شاء اللهُ تعالى على مودَّةِ الحُجَّةِ بنِ الحَسَن صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليه، لقاؤنا يتجدّدُ غداً وأختِمُ حديثي..

**سَلامٌ عَلَى نَحْرِكَ الدَّامِي يَا حُسَين...**

في أمانِ الله...

---

*** برنامج "الثائر الحسيني الوفي المختار الثقفي" متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرائيّون**

**www.zahraun.com**